مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

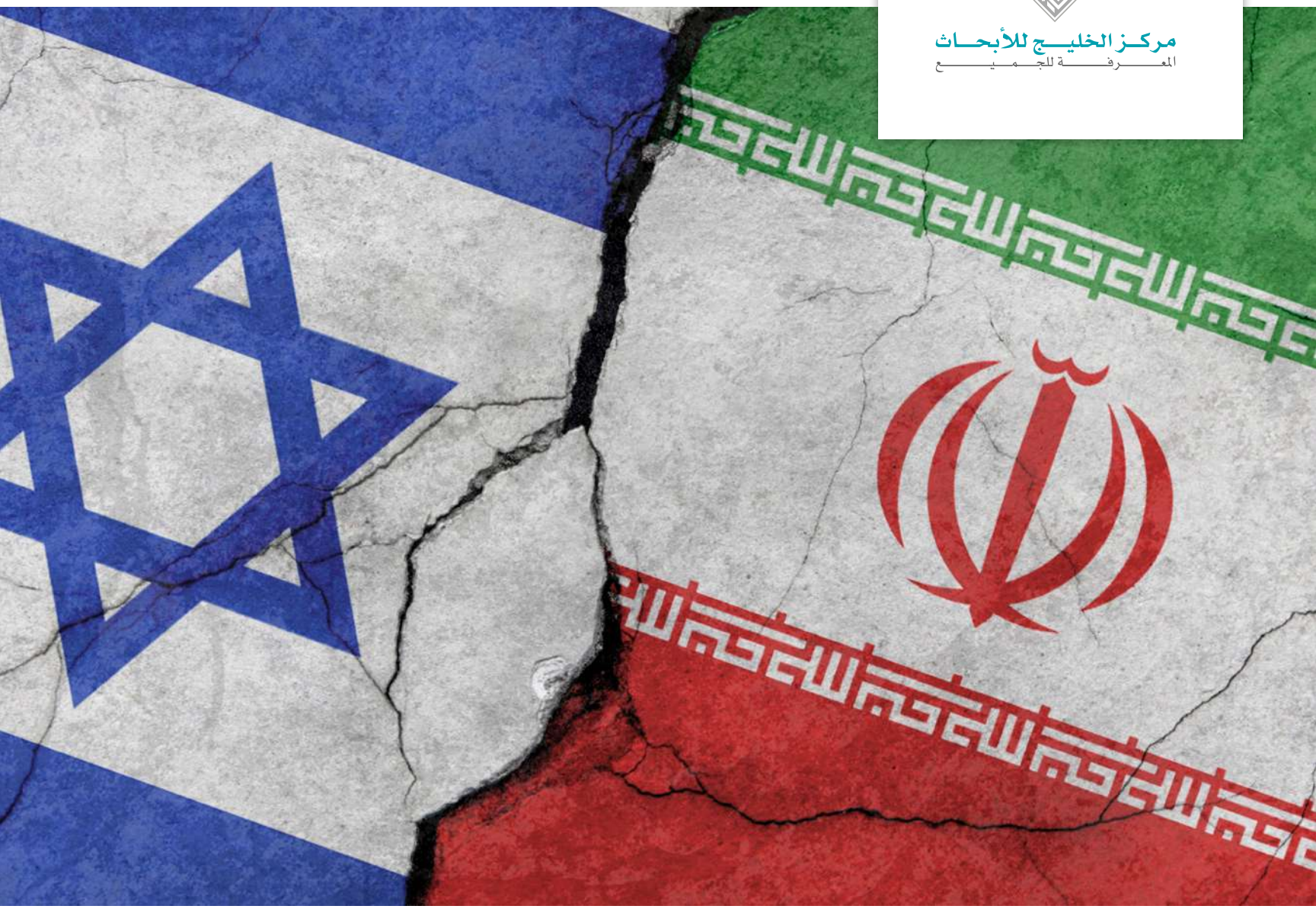

قصف إسرائيل للقنصلية الإيرانية في دمشق:

تجاوز صريح لحدود الصراع وخرق للأعراف الدولية.

أي تداعيات؟

د. عبدالرزاق غراف
باحث اول
مركز الخليج للأبحاث

أعربت المملكة العربية السعودية عن رفضها الشديد وإدانتها للهجوم الإسرائيلي على مبنى القنصلية الإيرانية في دمشق، جاء ذلك في بيان لوزارة الخارجية السعودية ذُكر فيه أن المملكة تدين استهداف القنصلية الإيرانية في سوريا وترفض بشكل قاطع استهداف المنشآت الدبلوماسية تحت أي مبرّر كونه يعدّ انتهاكًا صريحًا للقوانين الدبلوماسية والدولية وقواعد الحصانة الدبلوماسية، وبنفس عبارات الشجب والتنديد جاءت معظم المواقف الخليجية بما فيها موقف الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي.

حيث إن فيه تجاوز خطير لكل مستويات الصراع المعتادة في السنوات الماضية، وما تحتويه الأعراف الدولية من حماية للمقرات والبعثات الدبلوماسية والقنصلية، فقد شنت إسرائيل هجومًا مدمرًا على القنصلية الإيرانية في دمشق، الهجوم الذي يعتبر تجاوز لكل الخطوط الحمراء سيكون له تداعيات حتمية على جميع المستويات سواءً الداخلية منها أو الإقليمية والدولية

تفاصيل الهجوم تشير حسب العديد من وكالات الأنباء إلى أن مبنى القنصلية استهدف من طرف طائرة (اف ٣٥) بأربع صواريخ، ما أدى لمقتل قائدين بارزين في الحرس الثوري وخمسة مستشارين عسكريين إضافة لسوريين ولبناني حسب وكالة الأنباء الفرنسية، كما ذكرت مصادر إعلامية أمريكية إلى أن مسؤولين إسرائيليين قالوا أن إسرائيل هي من قامت بالهجوم حسب ما جاء في النيويورك تايمز، في حين ذكرت وسائل إعلام إسرائيلية رسمية إلى أن الهجوم هو رسالة لحزب الله اللبناني

ردود الأفعال الأولية عن الهجوم تراوحت بين الإدانة كما جاء في بيان وزارة الخارجية الروسية التي حمّلت إسرائيل المسؤولية الكاملة عن التداعيات الناجمة عن هذا الهجوم، وهو نفس الموقف الذي سارت ضمنه كثير من المواقف العربية والإسلامية، وبين المواقف التي حاولت التنصل من المسؤولية على غرار الموقف الأمريكي حيث أبلغ الأمريكيون نظراءهم الإيرانيون ألا علاقة للولايات المتحدة بالهجوم

على إثر الهجوم توعدت إيران إسرائيل بالرد المناسب، في حين ذكرت وكالة الأنباء الإيرانية أن الخارجية الإيرانية قامت باستدعاء القائم بأعمال السفارة السويسرية في طهران الجهة الراعية للمصالح الامريكية، حيث أبلغت الجهات الإيرانية نظيرتها الأمريكية رسالة مهمة تحمّل فيها إيران الولايات المتحدة المسؤولية الكاملة على الأعمال الإسرائيلية

وفي خطوة نحو تدويل قصف القنصلية طالبت إيران مجلس الأمن بعقد جلسة طارئة لمناقشة الهجوم الذي كسر كل الاتفاقيات والأعراف الدولية المرتبطة بحصانة المقرات القنصلية والدبلوماسية حسب البيانات الإيرانية، في حين أفادت مصادر من داخل مجلس الأمن بأن المجلس وبطلب من روسيا سيعقد جلسة طارئة لمناقشة الهجوم

القراءة الأولية لتوقيت وحيثيات تجاوز إسرائيل لمستويات الصراع المعتادة ضد التواجد الإيراني في سوريا إضافة الى تواجد حزب الله يطرح الكثير من الأسباب التي دفعت إسرائيل نحو رفع سقف الصراع في هذا التوقيت، خاصة وأن الهجوم الإسرائيلي جاء ساعات قليلة بعد قصف مجهول للقاعدة البحرية الإسرائيلية في إيلات عبر طائرات مسيرة أشارت عديد التقارير إلى أن ميليشيات إيرانية في العراق تقف وراءه

> طالبت إيران مجلس الأمن بعقد جلسة طارئة لمناقشة الهجوم الذي كسر كل الاتفاقيات والأعراف الدولية المرتبطة بحصانة المقرات القنصلية والدبلوماسية حسب البيانات الإيرانية

إيران أمام لحظة الحقيقة:

طبيعة وحجم الهجوم يجعل القيادة الإيرانية في وضع حساس للغاية، سواءً فيما تعلق بكيفية تسويقها للرأي العام الإيراني والجبهة الداخلية لردها المنتظر وكيفية تعاملها معه، أو لباقي الأطراف الإقليمية والدولية أصدقاءً كانوا أم أعداءً، فقادة إيران يدركون بأن السردية المعتادة بأن إيران سترد في الوقت والمكان المناسبين لم تعد صالحة لمثل هذه الحالة التي تجاوزت فيها إسرائيل كل الخطوط الحمر والمستويات المعتادة للصراع، وهو ما يحمل إيران على حتمية الرد دون تسويف وتأجيل وإلا فإن حجم التداعيات سيكون أكبر، فإيران تدرك أن عدم الرد سيساهم في تشجيع إسرائيل على الذهاب إلى أبعد من مستوى الصراع الراهن إدراكًا منها بصعوبة إقرار إيران لخيار التصعيد، ومن جهة أخرى تدرك إيران أن خيار التصعيد هو ما تريده الحكومة الإسرائيلية الراغبة بشدة في توسيع نطاق الحرب وتحويلها لحرب إقليمية وذلك للتملص من ضغوط الجبهة الداخلية فضلًا عن التملص من مسؤوليتها في حرب غزة، أو الضغوط الدولية خاصة فيما تعلق بضغوط الإدارة الأمريكية المتزايدة لإيجاد مخرج للوضع الإنساني المنهار في القطاع وسبل إدارة إسرائيل للحرب وما بعدها.

حزب الله بين خيارات متناقضة:

حزب الله هو الآخر ليس ببعيد عمّا يحمله الهجوم من رسائل وتداعيات، فيمكن تفسير ما حدث بأنه

رسالة إسرائيلية إلى حزب الله بأن إسرائيل تملك كل مقومات الردع وهي جاهزة للحرب على جبهتين إن اقتضت الضرورة لذلك، حتى وهي غارقة في وحل الحرب في قطاع غزة التي شارفت على بلوغ نصف سنة بدون أي ملامح لتحقيق أهداف إسرائيل المعلنة وفي مقدمتها إعادة الأسرى لدى حماس

في مقابل ذلك يقف حزب الله أمام حتمية الموازنة بين ما يمتلكه من خيارات، فهو وبحكم الضغوط الإيرانية وعلاقة التحالف العضوي بينهما يجد نفسه أمام حتمية الرد ورفع وتيرة قصفه للشمال الإسرائيلي، وبإمكان الحزب أن يتذرع بتصفية إسرائيل للعديد من قادته في سوريا بما فيهم أحد عناصره في الهجوم على القنصلية، ومن جهة أخرى يقف الحزب أمام حتمية إعطاء الجبهة الداخلية اللبنانية نصيبها من الحسابات في ظل رفض كثير من الفواعل اللبنانية توريط لبنان في حرب واسعة مع إسرائيل، وبين هذا وذاك تبقى قيادة الحزب مسؤولة أمام قاعدتها الحزبية بإلزامية الرد خاصة بعد الحرج الذي وقع فيه الحزب والمرتبط بمدى جديته في مناصرة باقي حركات المقاومة ضمن الأطر التي لطالما سوّق لها الحزب أنها مرجعية مشتركة بينه وبين كل حركات المقاومة «ساحة واحدة».

إسرائيل وسيناريوهات ما بعد الهجوم:

الحكومة الإسرائيلية المثقلة بتطورات الأحداث وتداعياتها في حربها في قطاع غزة التي هي على أبواب دخول شهرها السابع دون جديد يذكر ما عدا زيادة حجم جرائم الإبادة، تدرك أنها أمام حتمية تحمل المسؤولية السياسية كاملة عن إفرازات الحرب، وهي مسؤولية يرى الكثير من المراقبين أنها قد تعصف برئيس وزرائها «بن يامين نتنياهو» خارج الحياة السياسية في إسرائيل، وبالتالي فإن هذه الحكومة تدرك أن استمرار وجودها معلق على استمرار الحرب خاصةً في ضوء غياب النجاحات اللازمة لإقناع الجبهة الداخلية بخطة ثابتة لإنهاء الحرب منتصرة، فلا حماس تم القضاء عليها ولا الأسرى رجعوا إلى بيوتهم

وسط هذه الرهانات الصعبة ترى الحكومة الإسرائيلية أن خيار توسيع نطاق الحرب نحو الإقليم المجاور قد يكون طوق نجاتها، خاصة إذا

> يقف حزب الله أمام حتمية الموازنة بين ما يمتلكه من خيارات، فهو وبحكم الضغوط الإيرانية وعلاقة التحالف العضوي بينهما يجد نفسه أمام حتمية الرد ورفع وتيرة قصفه للشمال الإسرائيلي

اشتمل هذا التوسيع تصفية قادة عسكريين كبارًا لم تعتد إسرائيل على تصفيتهم من قبيل ما حدث

في قصفها للقنصلية، ورغم أن الحكومة تدرك أن ذلك يعد مراهنة خطيرة في علاقاتها بالإدارة الأمريكية التي لا تمر بأحسن ظروفها، إلا أن الحكومة الإسرائيلية في مقابل ذلك تعلم أن ذلك هو ما قد يحتم على هذه الإدارة القبول بخيارات إسرائيل انطلاقًا من الأمر الواقع، وقد بدأت بوادر ذلك تظهر بعد إقرار الإدارة والكونجرس لمساعدات عسكرية ضخمة لإسرائيل تجاوزت قيمتها حسب بعض المصادر ١٧ مليار دولار رغم حالة التوتر بين الطرفين.

أما فيما يخص التهديدات الإيرانية لإسرائيل؛ فقد رفعت إسرائيل من مستوى التأهب الأمني لدى الكثير من بعثاتها القنصلية والدبلوماسية وسفارتها في كامل أنحاء العالم، وفي الوقت الذي لم يتبين بعد أن القرار الإسرائيلي جاء انطلاقًا من معلومات ثابتة على وجود تحركات إيرانية في هذا

الاتجاه أم أنه يدخل ضمن ما هو احترازي فقط، إلا أن الثابت أن طبيعة الهجوم الحالي وحجمه ووزن المستهدفين من قيادات إيرانية جعلت من الحالة الراهنة غير ما سبقها من حالات ومختلفة عنها، وبالتالي فإن تحرك إيران نحو رد فعل مباشر على الهجوم يبقى أمرًا واردًا بغض النظر عن المكان المنتظر

الإدارة الأمريكية: حسابات معقّدة بمحدّدات داخلية وأخرى دولية

الموقف الأمريكي الذي أبان في الأيام الأخيرة عن فجوة واضحة اتجاه نظيره الإسرائيلي خاصة بعد تمرير قرار مجلس الأمن الداعي لإنهاء الحرب دون فيتو أمريكي، والذي ولّد العديد من التساؤلات فيما يخص علاقة الإدارة بالحكومة الإسرائيلية، يكون هو الآخر أمام حسابات دقيقة سيكون لها كبير التداعيات على مستقبل الإدارة خاصةً في ضوء بداية العد التنازلي للانتخابات الرئاسية التي سيكون لملف الحرب كبير الأثر فيها

فمنذ بداية الحرب سعت الولايات المتحدة بكل ما أوتيت من قوة لمنع توسع الحرب إقليميًا بالنظر لحجم التداعيات المنتظرة على موقع الولايات المتحدة ضمن التوازنات الإقليمية والدولية التي قد تفرزها حرب إقليمية واسعة، وقد كان للتدخل الأمريكي المحدود والمرن اتجاه حركة الحوثي والأزمة في البحر الأحمر ثم موقفها وردها المحدود على مقتل جنودها في الأردن كبير الإشارة على عدم رغبة الولايات المتحدة في توسيع الحرب

أثناء ذلك جاء الهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية ليعيد خلط الأوراق من جديد على النحو الذي قد يجبر الولايات المتحدة على تغيير نهجها

الراهن، إلا أن الثابت أن حجم وطبيعة التغيير سيكون حتمًا مرهونًا في أحد أهم أبعاده بتطورات الأحداث وحجم وطبيعة الرد الإيراني، فالولايات المتحدة التي ستجد نفسها أمام حتمية التدخل في حال توسع الحرب وتحولها لحرب إقليمية تدرك أن هذا السيناريو قد يكلفها خسارة الانتخابات القادمة، كما تدرك أن أحد مضامين رغبة الحكومة الإسرائيلية في توسيع الحرب هو جرّ الولايات المتحدة لهذا الخيار، وبالتالي فإن الإدارة الأمريكية أمام ضرورة الموازنة بين كل الحسابات وإن كان الغالب والراجح أنها ستقف عائقًا أمام هذه الرغبة الإسرائيلية

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net